

المنهج الإنساني في العلاج بالفن

د. مصطفى محمد عبد العزيز حسن

أستاذ علم النفس، ومادة تحليل التعبير الفني لفنون الأطفال والبالغين
كلية التربية الفنية جامعة حلوان.

العدد التاسع والثلاثون يوليو ٢٠٢٤

الجزء الأول

المنهج الإنساني في العلاج بالفن

د. مصطفى محمد عبد العزيز حسن

أستاذ علم النفس، ومادة تحليل التعبير الفني لفنون الأطفال والبالغين

كلية التربية الفنية جامعة حلوان.

ملخص البحث

مشكلة البحث:

يفترض علم النفس الإنساني مبادئ منها:

- كل فرد له الحق في النمو المكتمل لهويته المتفردة وبالأسلوب الذي يتوافق معه.
 - يحق لكل فرد التشجيع على المشاركة مع غيره على أساس الأهداف المشتركة بما يتناسب مع حاجاته واهتماماته.
 - ينظر إلى الأفراد على أنهم يواجهون مشكلات من أجل التوافق وليس مرضى عقليون.
- وفي البحث الحالي تتبلور المشكلة في ما مدى إمكانية تطبيق مبادئ فرضيات علم النفس الإنساني في مجال العلاج بالفن.

هدف البحث: الكشف عن دور علم النفس الإنساني في العلاج بالفن

فرض البحث: توجد علاقة إيجابية بين مبادئ وفرضيات علم النفس الإنساني والعلاج بالفن.

منهج البحث: يتبع هذا البحث المنهج الوصفي الارتباطي.

الكلمات المفتاحية: المنهج الإنساني، العلاج بالفن، علم النفس الإنساني

The Humanistic Approach in Art Therapy

* Dr. Mustafa Mohamed Abdel Aziz Hassan - Professor of Psychology and Artistic Expression Analysis Children and Adults, Faculty of Art Education – Helwan University.

Research Summary

Search problem:

Humanistic psychology assumes principles, including:

1. Each individual has the right to the full development of his or her unique identity and in the manner to which he conforms to it.
2. Everyone has the right to encourage participation with others on the basis of common goals commensurate with his needs and interests.
3. Individuals are seen as having problems for compatibility and not mentally ill.

In current research, the problem crystallizes in the extent to which the principles of humanistic psychology hypotheses can be applied to art therapy.

Research Objective: To reveal the role of humanistic psychology in art therapy.

Research hypothesis: There is a positive relationship between the principles and hypotheses of humanistic psychology and art therapy.

Research Methodology: This research follows the correlational descriptive approach.

مبادئ وفرضيات علم النفس الإنساني Principles and assumptions of human psychology:

إن مبادئ وفرضيات علم النفس الإنساني سيتم تقديمها ملخصاً في البحث الحالي فيما بعد بالاستعانة بما ذكره Josef E. Garai^(١) حيث ذكر إن المنهج الإنساني في العلاج بالفن يُبنى على ثلاثة فرضيات:

أولاً: لا ينظر إلى الناس على أنهم مرضى عقليون، لكن يُنظر إليهم على أنهم يواجهون مشكلات خاصة في جهودهم من أجل التوافق مع الحياة وذلك نتيجة للصراعات النفسية المتداخلة أو الصراعات البيئية ولكن العلاج هنا موجه نحو دعم قدرة الفرد على أن يعيش، وبناء القدرة لديه على إيجاد المعنى والهوية بأسلوب حياة كامل الابتكاري قدر الإمكان.

ثانياً: إن انعدام القدرة على التوافق بشكل ناجح مع متغيرات ومقلبات الحياة أو عدم إيجاد المسارات المرضية للفاعلية الذاتية والمعنى والهوية هي ظاهرة عامة، تؤثر في الجميع بدرجة أكبر أو أقل. فأزمة الهوية هي ليست ظاهرة ذات مرحلة واحدة يمر بها المراهقون وصولاً إلى مرحلة النضج. فأزمة الهوية يمكن أن تحدث في أي مرحلة حياتية عندما يتطلب الأمر الانتقال إلى نوع جديد أو أكثر من أساليب الحياة. وبدلاً من انتظار علاج الناس من أثناء فترات التوتر يساعد المعالج الإنساني بالفن الناس على إدخال أزمات الهوية المتنوعة في أساليب حياة تعبيرية ابتكارية والتحرك نحو مزيد من خبرات التعبير. هذه الرعاية الوقائية مبنية على التحفيز على الخبرات الحياتية التي تدعم حب الإطلاع والإثارة والتعبير الذاتي والحميمية.

ثالثاً: إن الفاعلية الذاتية تتبع من أساليب حياتية للإنسان الذاتي العبقري والأزمات، وتبقى كامنة غير فاعلة إذا لم يستطع الفرد بناء حياته لهدف انتقال أو تحول للذات يجعل الحياة ذات معنى بشكل أكبر وذلك بواسطة إضافة بُعد روحاني إليها. (Frankl, 19763, 1973) وهذا يتطلب التزاماً يربط الاحتياجات الخاصة بالفرد بتلك الاحتياجات للمجتمع الأكبر من خلال علاقة وطيدة وانفتاح آمن على العلاقات مع الآخرين.

هذه المبادئ الثلاثة يمكن تلخيصها في: (١) التركيز والتأكيد على حل المشكلة الحياتية. (٢) التشجيع والتحفيز على الفاعلية الذاتية من خلال التعبير الابتكاري. (٣) التركيز والتأكيد على ربط الفاعلية الذاتية بالحميمية والثقة في العلاقات الشخصية والبحث عن أهداف التحول والانتقال في الحياة.

(١) Josef, E. Garai, Ph.D. ATR

Professor and Chair, Creative Expressive Arts Therapies Program Pratt Institute.
Brooklyn, NY, Art Therapist and Psychologist in private practice, NY.

Josef, E.Garai, Humanistic Art Therapy, American Journal of Art Therapy, 1974, 13(2), 151-164.

في العلاج الإنساني بالفن يذهب المعالج والمريض معاً في رحلة استكشاف للصور الداخلية والخيالات والأفلام والأمثلة النموذجية. هذه الرحلة إلى أعماق النفس تمكن المريض من بلورة الأوجه الغامضة أو غير المكتشفة للخبرة الداخلية من أجل زيادة الوعي والإدراك بالأحاسيس العميقة والتوترات والآمال. ويمكن العلاج الإنساني بالفن أن يصبح الطريق الملكي لظهور الإنسان الابتكاري الذي يملك القدرة على اكتشاف أعماق الطاقات الداخلية الحيوية.

المبادئ الأساسية لعلم النفس الإنساني:

- ١- الفرد يجب دراسته ككيان كلي.
 - ٢- حياة الفرد يجب دراستها ككيان كلي على أسس تنموية تربط فيما بين المراحل الحياتية من الميلاد حتى الوفاة.
 - ٣- إن الإدراك للذات وللإنجاز هما فضلاً عن الضبط وغياب التوتر من الأهداف الأساسية للكائنات البشرية. والتي تقدم المعنى والهوية.
 - ٤- توجد ثلاثة فرضيات حياتية أساسية: الحاجة إلى المتعة والتي تتصف بالإشباع الشخصي في الجنس والحب ومعرفة الأنا. والحاجة إلى الانتماء والأمن من خلال التكيف المحدود للذات مع المجتمع. والحاجة إلى الإنجازات الابتكارية.
 - ٥- لكل فرد حاجة أصيلة للتكامل بين هذه الحاجات الثلاثة في نمط يميز هويته.
 - ٦- كل فرد يواجه الحاجة إلى توجهات متوازنة الصراع أو تتوافق مع نفسه.
 - ٧- إن الذنب والقلق ليس هما النتيجة الحصرية لمعوقات الأنا العليا لكنهما نتيجة أيضاً في الغالب لفشل الفرد في الاستفادة من إمكانيته الابتكارية الموروثة أو في بناء أسلوب حياة ذو معنى.
 - ٨- إن الهوية تتميز بالانسيابية إلا أنها تستقر في حياة الإنسان في مرحلة ما وتتطلب محاولات دورية لإعادة تكاملها واحتوائها مع الحاجات والتوجهات المختلفة.
- إن نظرية Josef E. Garai عن العلاج الإنساني بالفن تأثرت كثيراً بفكر Otto Rank والذي كتابه تحت عنوان "الفن والفنان" عام ١٩٣٢ يأخذ القرار في رحلة للاكتشاف من خلال نطاقات الابتكار. فهو يشجعهم على أن يكونوا فنانين في حياتهم يشكلون وجودهم بتوظيف جيد لأعماق خبراتهم الداخلية. والهدف من ذلك هو "فرد متوازن" يستطيع بناء انسياب نمطي متناغم فيما بين كل هذه الحالات النفسية والحاجات مثل الحب والغضب، الضعف والقوة، العمومية والخصوصية، والأمل واليأس.

إن المعالج الإنساني بالفن يحاول ابتكار جو غير تحكيمي مقترحاً أن الإنسان ممكن أن يكون "جيد" و "سيئ" "قوي" و "ضعيف"، "محب" و "غاضب"، "مستقل" و "اعتمادى". عندما يدرك الناس مثل هذه الازدواجيات، فإن بإمكانهم التخلي عن معايير الاحتمالية في الأداء

والسلوك. والسير قدماً نحو اختيارات الفاعلية الذاتية والالتزامات بدلاً من التوجه نحو عوامل التدمير .

إن الكيفيات المختلفة التي يمثلها الفن والرقص والموسيقى والشعر والدراما في صور علاجية. إنما تحل محل المحور التقليدي في العلاج والذي يركز على العلاج من المرض ودلالاته. فالهدف من العلاج ليس التحرر من الخوف والقلق والتعاسة، بل الهدف هو تحويل هذه الأحاسيس إلى تعبيرات صادقة بكيفية مهنية من أجل معايشة خبرة إنتاج وإنعاش النفس التي تأتي من الإنجاز بدلاً من البحث عن تجنب المرض، يبحث الفرد عن الكينونة الجيدة التي الاستثنائية التي وصفها الكثيرين من الباحثين، أمثال Houstou عام ١٩٨٢ و Jacob عام ١٩٦٥ و Maslouw عام ١٩٧٥ و Muller عام ١٩٨٢ و Moustakas عام ١٩٧٧ وغيرهم.

لقد تمكن (Josef E. Garai) بعمل إطار لتطبيق المبادئ الإنسانية الشمولية في العلاج بالفن في سلسلة من المقالات البحثية، وفي إصدار لكتيب للتدريب (Garai, 1975, 1970, 1979) ١٩٧٥ و ١٩٧٠ و ١٩٧٢) تحت عنوان: "الشفاء الشامل من خلال التعديل الابتكاري" Holistic Healing Through Creative Expression عام ١٩٨٤ فهو يؤمن أن التكامل الشمولي يهدف إلى تعاون متناغم بين الجسم والعقل. وبين الروح والجسم. وبين الروح والعقل. وأنه يجب على الفرد أن يبحث عن مثل هذا التكامل ليس فقط داخل نفسه. ولكن أيضاً مع البيئة التي يعيش فيها.

تمارين في الفن Art Exercises:

ولكي يبين Josef, E. Garai كيف يمكن استكشاف المبادئ الإنسانية في العلاج بالفن وصف تمريناً معيناً قام بتصميمه لتحقيق الإدراك والوعي بعملية التقرد الذاتي. وتفرّد الشخصية أو التقرد الذاتي محتمل وصفه على أنه اكتساب الثقة والذاتية والفاعلية في الذات. والخطوة الأكثر أهمية هي تحقيق المهمة التنموية في تعلم الفرد أن يكون شخص مستقل، وقادر على تولي مسؤولية حياته الخاصة. وهذا يتطلب اكتمال عملية الانفصال عن الأبوين. ويؤدي ذلك في النهاية إلى تقرد جوهري للشخصية ومقدماً الأساس للذاتية الاستقلالية. وعندما يصبح الفرد مستقلاً على هذا النحو فإنه يكون قادراً على تولي المسؤولية الكاملة عن حياته الخاصة. فيمكنه الاستمتاع بتلك الاستقلالية بدون الإحساس بالوحدة واليأس وأن تكون لديه الشجاعة على الوقوف بمفرده في مواجهة متطلباته بدون أن يشعر بأنه تائه أو مهمل من الآخرين.

في البداية يطلب من الأفراد في هذا التمرين أن يرسموا أو يشكّلوا بالانح ما يعبر عن أحاسيس الوحدة غير المحتملة الناتجة عن عدم وجود الشخص المقرب الصدوق. ثم يطلب

منهم بعد ذلك أن يعبروا عن هذه الوحدة فنياً والتي تسمح بوجود فراغ منفصل وحرية بعيدة عن الإقحام والقدرة على اختيار أي نشاط بدون الاهتمام بحكم أو نقد الآخرين. والمقارنة بين الرسومات أو الأعمال النحتية، من هاتين الخطوتين تقدم البصيرة والفهم للطريقة التي يتناول بها الأفراد مشكلاتهم ويتعاملون معها. بالفعل. إن كل شخص ابتكاري يعرف ما هي أهمية الحفاظ على مساحة وحرية الاختيار للآخرين. وكيف أن هذه الاحتياجات الأساسية تتطلب إشمال لأقرب الأصدقاء والمحبين عند وضع الفرد في المعيار.

تمرين فني آخر:

قام Josef E. Garai بتصميمه لتحقيق الوعي بالتكامل الشمولي للشخصية. وفي هذا التمرين أعطي لكل مشارك فيه قطعتين من مادة الصلصال الملونة وورقتي رسم وبعض أنواع طباشير الرسم الملون. وتعليمات هذا التمرين تقول: "خذ قطعة صلصال وأغلق عينيك وقم بتشكيلها وعيناك مغلقتان. تخيل نفسك تقسم وتُشطر نفسك. وتتخرط في أنشطة أو أفكار من شأنها تفصل جسدك عن عقلك وعقلك عن روحك. وأيضاً تعزل نفسك عن بيئتك الطبيعية. حاول أن توزع هذه التوجهات المنشطرة على قطعة الصلصال التي تشكلها" وبعد ١٢ دقيقة تكون التعليمات من Josef E. Garai كالاتي: "الآن أنتظر حتى أعد من ١ إلى ٣ وعندما تسمع رقم ٣ افتح عينيك وضع التشكيل النحتي الذي نفذته بجوار أول قطعة ورق معك. ثم أرسل خبرة تقسيم ذاتك بأي طريقة ترغبها".

الجزء الثاني في هذا التمرين يبدأ بالتعليمات الآتية: "الآن خذ قطعة الصلصال الثانية وأغلق عينيك وقم بتشكيلها وعيناك مغلقتان. أترك الصور الذهنية تأتي إلى عقلك. وحاول أن تظهر كيف هي محاولاتك في تكامل أجزاء جسمك وروحك وعقلك في صورة متناغمة لكي تحصل على إشباع حاجاتك الأساسية وأشعر كل داخل نفسك وفي بيئتك. وبعد ١٢ دقيقة تكون التعليمات كالاتي: "انتظر حتى أعد من ١ إلى ٣. وعندما تسمع رقم ٣. افتح عينيك وضع التشكيل النحتي بجوار قطعة الورق الثانية معك وارسم خبرة التكامل المتناغم للذات وأي طريقة ترغبها".

داخل المجموعة ممكن مقارنة الرسومات أو الأعمال النحتية في الحالتين السابقتين بواسطة المشاركين في هذا التمرين. ثنائيات أولاً. ثم في مجموعات كل مجموعة مكونة من أربع مشاركين وفي النهاية على مستوى المجموعة ككل بمساعدة قائد لها. والهدف هنا هو توضيح حركات الأفراد من التقسيم إلى التكامل للذات. كما ينعكس ذلك في تفسيراتهم للمعاني الرمزية في الأشكال النحتية الناتجة والرسومات. أنها طريقة بسيطة إلا أنها قوية تساعد الأفراد في تحقيق الوعي بالتكامل الشمولي للذات.

التعريفات الإنسانية للابتكارية:

Humanitic Deinations of Creativity

تختلف التعريفات الإنسانية للابتكارية عن تلك التعريفات التي ترى الابتكارية ظاهرة ثانوية بدلاً من كونها دافع إنساني غريزي. ربما نطلق على هذه النظريات عنوان "نظريات تعويض القصور" وتشمل نظرية التحليل النفسي التقليدي والتي ترى أنها الابتكارية تنتج عن تهذيب للغريزة البيولوجية المرتبطة بالطاقة الجنسية. وتحويلها إلى أشكال بديلة لسلوك مقبول اجتماعياً، وفي عام ١٩٥٨ يرى Freud إن الإنجازات الكبرى للمدنية قد ظهرت نتيجة تهذيب الغريزة الجنسية. فالأفكار وراء الرسومات الرائعة للرسام Leonardo da Vanfi ووراء الأعمال النحتية المبهرة Michelaugla ومسرحيات وأشعار Shakespeare والسيمفونيات Beethooven هي بسبب بعض دافعهم الجنسي على ما يبدو كانت غير منيعة بالنسبة لعلماء علم النفس الإنساني.

هناك نظريات أخرى تتكر أولية الابتكارية على أنها مجهود إنساني غريزي، وتشمل تعديلات في الفكر الفرويدي مثل اقتراح Uris عام ١٩٨٢ بأن الابتكارية تتطلب انتكاسة في خدمة الأنا. أما Adler يرى أن الابتكارية تأتي من حاجة الإنسان لتحقيق الاكتمال والأفضلية لكي يتغلب على أحاسيس الوضاعة الأساسية. يقترح Ranv عام ١٩٣٢ أن الابتكارية هي نتيجة لعناء الإنسان بين خوف الحياة وخوف الموت. ما يمثل محاولة للتغلب على خوف الموت باكتساب صفة أو وسواس الخلود. من خلال ابتكار شيء ما يخرج مبتكراً.

كل هذه هي نظريات تعويض القصور وليس لها قبول لدى علماء علم النفس الإنساني لأنها ترفض فرضية أن الابتكارية هي دافع إنساني غريزي مستقل. وأن علماء علم النفس الإنساني والمعالجون ينجذبون نحو نظريات الديناميكية الشمولية للابتكارية. ومن بين هذه النظريات أفكار Jung والتي تقترض "لا شعور جمعي" يحتوي على الخبرات والذكريات للجنس البشري. وهذا اللاشعور الجمعي يعمل على إثارة الأمثلة النموذجية والرموز التي تشكل مجموعة الأفكار الابتكارية التي يملكها كل فرد من الفنانين وأيضاً يرسم Jung صورة للدفع الابتكاري الغريزي على أنه دافع موجود في كل البشر.

تذكر نظرية MAY عام ١٩٥٢ أن الابتكارية الأصيلة هي عملية إحضار شيء ما جديد إلى الوجود. فالأفراد المبتكرين - فنانيين - شعراء - موسيقيون وغيرهم - هم هؤلاء - طبعاً لكلام أفلاطون - الذين يعبرون عن الكينونة ذاتها. أو الوجود ذاته، هم هؤلاء الذين يعظمون من الشعورية الإنسانية. فالرموز التي يستخدموها تتطلب تحدي أساسي في حياة ملاحظها. فالعملية الابتكارية هي مواجهة بين المبتكر والبيئة مثلاً الرسام يواجه المشهد الطبيعي. وكثافة هذه المواجهة - درجة الاندماج في الفعل الابتكاري - والتحول الحادث في كل من الذات والبيئة يحدد جودة العملية الابتكارية. يرى Moustakas عام ١٩٧٧ أن الابتكارية تتضمن النمو

الشخصي وتجدد الذات والفاعلية الذاتية. فهو يبين أن المكتسبات البارزة في الوعي ومعرفة الذات.

إنما تتبع من المصادر الداخلية وليس المصادر الخارجية. ويزعم أن كل الكائنات البرية تملك القدرة علي أن تكون ابتكارية وعلي الارتباطة بأصالة مع بعضهم البعض مع الحفاظ في نفس الوقت علي تفردهم. ومع ذلك هذه الإمكانية تهددها ضغوط التوافق المجتمعي وبالتحركات نحو إكتساب المادة والإتصال الفائق والأمان والعلاقات التقليدية. ويؤكد علي أهمية الصدق والحرية في العلاقات الإنسانية داخل إطار للمسئولية الأخلاقية والمعايير الأخلاقية العالمية. أيضاً يؤمن Moustakas أن الأزمات تعمل علي ترسيب فترات الشك الذاتي التي تدفع الشخص نحو حالة وعي جديدة وحلول وتغيرات في الذات. ويوضح الفرق بين الغضب الصحي والغضب العصبي ويبين كيف أن التعبير الصادق عن الأحاسيس يمكن أن يستخدم للنمو عندما يحرر التوتر ويمهد الطريق لصنع روابط أكثر عمقا وصدق أكبر بين أصحاب هذا التعبير الصادق. يستخدم Moustakas صور حسية جاهزة ويؤكد علي وجود المعني ي السكون ووار الذات والتأمل في الإكتشاف الإبتكاري. ويذكر أن الإبتكارية هي متأصلة في كل فرد منذ ميلاده تلك الإبتكارية تتطلب التعبير عن تفرد كل شخص. فلكل فرد أسلوبه المتفرد في التعبير الإبتكاري والذي يشبه البصمة تميز صاحبها فقط.

أما Langer عام (١٩٦٧-١٩٧٠) تصيغ نظريتها من فرضية أن مفهوم الرمزية هو العنصر البشري من ناحية جانب الخصائص في الإدراك. وأن التعبير الرمزي والفهم هما ما يميز الإنسان في عقليته عن الحيوان. وهي تعرف الفن علي أنه ذلك التعبير الرمزي لمعرفة الفنان بالإحساس ومثل Jung, May, Moustakas تؤكد Langer علي أهمية التفرد الذاتي وتكوين الهوية الناتجان عن الإندماج في العملية الإبتكارية. إن نظرية Langer ترتبط بقوة الحاجة إلي التعبير عن المعني الرمزي علي أنه مفترض بواسطة الآخرين.

المعالجون الإنسانيون بالفن أيضا تأثروا بالنتائج التي توصلت إليها الأبحاث عن المخ. فالبعض منهم أبتكر تقنيات خاصة تدعم البصيرة الوجدانية والحسية المتبادلة والتميز التعبيري. وهي خواص سائدة في النصف الأيمن للمخ وذلك لكي يحدث تعاون متناغم مع الخصائص السائدة في النصف الأيسر للمخ وهي التبرير العقلاني والتفكير المنطقي.

إن الإبتكارية الأصيلة تتميز بالإدراك المكثف وحالة راقية للشعورية والإحساس بالسرور عند تحقيق الإنجاز. فالإبتكارية تشمل الشخص ككل واحد والأداء أو الفصل اللاشعوري في التوحد مع الشعور. ومن ذلك فالإبتكارية ليست غير منطقية لكنها فائقة المنطقية. إنها خبرة إعجازية فيها يندمج الفرد مع الكون والتي فيها الوحدة الكلية تحل محل الشبوع والفراغ الفضائي.

تطبيقات أخرى للنظريات الإنسانية:

Further Applications of Humanistic theories

المعالجون بالمنهج الإنساني يستخدمون تفسير الأحلام لمساعدة عملائهم/ مرضاهم من التعرف علي وفهم الرسائل العامة من اللاشعور الشخصي والجمعي. وقد وصف العديد من الأخصائيون العاملون بتفسير الأحلام باستخدام الفن. وفي حين أن Freud يؤمن إن الأحلام هي تعبيرات رمزية لرغبات طفولية تكشف عن ضغوط جنسية غريزية منكمسة نجد المعالجون الإنسانيين يميلون إلي رؤية الأحلام مثل Jung علي أنها رسائل رمزية من أعمق طبقات اللاشعور. فربما ترتبط بأمال إبتكارية لم تتحقق وجوانب للذاتية وللهوية والتي تتطلب إنتباها شعورياً لإيجاد الحلول. فالأحلام بالفعل ممكن أن تؤدي إلي حلول للمشكلات. ويظهر ذلك بالدليل في أحلام Niels Bohy الفيزيائي السويدي الذي فاز بجائزة "نوبل" لحله إعجاز تركيب الذرة. ففي حلمه رأي Bohr شمس ضخمة جدا لها ألسنة لهب حارقة تشع من مركز الشمس، ثم رأي شمس صغيرة تشع نفس ألسنة اللهب ومرتبطة في مدار علي شكل قطع ناقص يتقاطع مع شمس ضخمة. ثم رأي مدار آخر علي شكل قطع ناقص مع شمس صغيرة الحجم مع ألسنة لهب تتقاطع مع هذين المدارين. وفي النهاية مدار ثالث مشابه مع ألسنة لهب صغيرة الحجم أيضاً تتقاطع مع كل المدارات. وبعد أن استيقظ من نومه سجل هذا الحلم كتابياً وبدأ يتأمل جليا في معناه. وبعد يومين وضع تصور لنظريته: تتكون الذرة من محور أن قضيب نووي والذي تتقاطع معه ثلاثة مدارات علي شكل قطع ناقص لكل مدار. وهي مدارات للبروتونات والإلكترونات والنيوترونات. الشمس الكبيرة ترمز إلي القضيب المحوري، المدار الأول. البروتونات. والمدار الثاني، الإليكترونات. أما المدار الثالث للنيوترونات. وقد كان Bohr مشغولا دائماً في ساعات إستيقاظه بإستكشافاته للذرة ، لكن حلمه مكنه من أن يجد التعبيرية التصويرية والتي بدورها مكنته من أن يضع شكل واضح لخطوط النظرية وكيفية ترابطها مع بعضها البعض.

يستخدم المعالجون الإنسانيون تفسير الأحلام بطرق عديدة. فقد استخدم Josef E. Garai مثلاً التعبيرية العقلية لمساعدة الأفراد علي تذكر أحلامهم المؤخرة أو المعادة. وبعد ذلك طلب منهم رسم الحلم أو تشكيله. الأحلام تفسر كرسائل من اللاشعور الجمعي وتكون دلالتها الخاصة بالنسبة للحالم تحت الفحص والبحث. ونشجع الحالم علي تعريف رغباته التي لم تتحقق للنمو والفاعلية الذاتية والتفرد من خلال الأمثلة النموذجية والتعبيرات التصويرية الذهنية القابلة للتوضيح. المعالجون الإنسانيون أيضا يدركون أهمية "الصورة العقلية" أو التعبيرية التصويرية العقلية في عملية الإستشفاء. ففي عام ١٩٨٠ كان Simonton يستخدم التعبيرية

التصويرية لمساعدة المرضى بالسرطان في حالة متقدمة، حيث يطلب من المريض أثناء علاج الليزر له أن يتخيل أن أشعة الليزر تهاجم الخلايا السرطانية بتوجيهها نحو مكان السرطان في الجسم، ثم يطلب من المريض أن يتخيل أن خلايا جسمه الصحية المهاجمة للسرطان تشكل جيش قوي يصد هجوم السرطان يأتي من الخلف ويتعاون مع أشعة الليزر التي تأتي من المقدمة. لغزو السرطان. ووجد Simonton أنه بتخيل هذا السيناريو فإن دفاعات المناعة الخاصة في المريض تلقي دعماً معنوياً قوياً مما يعجل من وتيرة العلاج والشفاء.

إن التعبيرية التصويرية غالباً ما تستخدم في العلاج الشمولي. في بعض الأحيان كان Josef E. Garai يشجع مرضاه علي أن يتخيلوا أهمهم وما هو قدر شعورهم به وكيف يؤثر هذا الألم في أجزاء أو أعضاء معينة في الجسم. ثم بعد ذلك أطلب منهم أن يرسموا صورة لهذا الألم. وبعد ذلك يطلب منهم أن يتخيلوا أن الألم يترك الجسم تدريجياً وأن العضلات في الجسم بدأت في الاسترخاء ولم تعد تضايقهم استخدام آخر للتعبيرية التصويرية الموجهة حيث يتم دعوة المريض غير القادر علي حل مشكلة ما هامة إلي تخيل أنه يسترخي بجسمه علي شاطئ ما هاديء أو بالقرب من شلال مياه في أحد الجبال. يفكر في طرق حل المشكلة التي تواجهه، وإذا كان ذلك صعباً عليه ويشعر بعدم القدرة علي التفكير ممكن أن يستدعي " مستشاره الداخلي " ويحكي له مشكلته ومن خلال الحوار يتجه نحو الحل. وربما يطلب المعالج بالفن من المريض أن يرسم صورة تعبر عن الحوار لتأكيد المعاني الرمزية للرسائل المتلقاه. فيعتقد الكثيرون من الباحثين أن الإستشفاء والتحول يتحددان بشكل رئيسي بواسطة قدرة الفرد علي الإستماع إلي الرسائل التي تأتي من داخل عقله من هؤلاء الباحثين (1983, Shapiro, Walsh, 1982, Naisbitt, 1981, King

مادة الحالة : Case Material :

إن كيفية المعالجة والتشخيص بواسطة المناهج الإنسانية موصوفة في تاريخ ورسومات حالات في كتاب تحت عنوان " إنعكاسات العناد من أجل الهوية في العلاج بالفن " لـ Garai عام ١٩٧٣. إن فهم المعني الرمزي ومشاركة الرموز ما قبل المرض وشبه المرضية والخيالية والخرافية والمجازية والصور وعمليات الفكر. من الممكن أن تحيط وتوضح الإزدواجية المفاهيمية والتعليمية للإتصال اللفظي. أيضاً ممكن أن تخلق رابطة شعورية مباشرة بين المعالج والمريض من أجل إنشاء مثل هذه العلاقة يجب علي المعالج بشكل ثابت مراجعة ما إذا كان هذا المريض يتوافق مع رسائله- أي المعالج - الرمزية أم لا. ويجب علي المعالج أن يقفز بمحصلات عن المعني لهذه الرسائل يشتهه من الرمزية العمومية للتحليل النفسي أو من

نظريات أخرى. فيجب أن يضع في عقله أن المعنى الرمزي الخاص للرسالة بالنسبة لهذا المريض في هذه المرحلة الخاصة في حياته، وفي سياق خبرة وتاريخ حياته. ومن ذلك نجد علي سبيل المثال مدير أعمال شاب يرسم صورة لنفسه يعبر فيها عن أنه يحاول تسلق صارية حمام سباحة عالية ويقع من عليها قبل أن يصل إلي تسلق آخرها. في البداية وافق هذا الشاب علي تفسير المعالج بأنه يبدو خائفاً من فقدانه قدرته الجنسية. وعندما كشف هذا الشاب عن أن دافعه الجنسي يزداد قوة ويحقق منه الإشباع أكثر من أي وقت مضى فإن التفسير التحليلي النفسي التقليدي أصبح مرفوضاً. فالصارية في هذا الرسم كانت حقا رمز يعبر عن رغبته في الوصول إلي قمة سلم النجاح في شركته. وخوفه من أن يحقق ذلك كان نتيجة لملاحظة عمل أباها منافسا له في العمل مما أدى به إلي الشعور بالمرارة والسير ببطء في جهوده الحقيقية من أجل الوصول إلي القمة.

العملية العلاجية Therapeutic Process :

الجزء الآتي استقطعه (Josef E. Garai) من تاريخ حالة لكي يعطي لنا مزيد من الشرح لاستخدام المنهج الإنساني في العلاج بالفن.

"Ken" طالب يدرس الفنون. أنضم إلي العلاج النفسي في عمر (٢١) عاما بسبب مروره بأزمة نفسية نتيجة تعاطيه الماريجوانا المخدرة. كان شاب قوي البنية وطويل عيناه عميقتان متحملتان يبدو عليهما نظرة الشك. في بداية العلاج كان غير قادر علي إستكمال أعماله الفنية في مشروع تخرجه من كلية الفنون. أيضا في ذلك الوقت كان قد انفصل عن صديقته وتشاجر مع أمه وكان يخشي أن يفقد عقله. وكان هو الطفل الوحيد لأب وأم انفصلا عن بعضهما وهو يبلغ من العمر خمس سنوات. وكان Ken ما زال مرتبطا جدا بأمه ذات الجمال الفائق الجذاب رغم أنها كانت متشددة في حمايته وتتصف بالتعنت. وتكون لدي Ken بغض عميق لوالده الذي تزوج من أخرى ولم يعترف ذات مرة بأن لديه موهبة فنية. شعر Ken بإكتئاب وذنوب شديدين، وكانت تبدو عليه دلالات البارانويا والهستيريا ويشكو من أعراض وآلام جسمية نفسية كثيرة. كان يغوص في الحيرة بين السلوك الدافعي أو الإنسحاب والغوص في الحالات الحاملة التي يعيش فيها. كان تشخيص الأطباء له أنه شخصية غير متوافقة عاشت حالات معاناة إعتمادية تتصف بالعدائية والسلبية وعاشت في حيرة جنسية.

في سلسلة من الرسومات والبورتريهات الشخصية له والتي تعبر عن أحلامه كان Ken قادرا علي حل صراعات هويته ويتجه نحو الفاعلية الذاتية، أولاً في علاج فردي بالفن ثم في العلاج الجماعي بالفن. في أول رسم أحضره في العلاج الجماعي بالفن (شكل ١):



شكل ١

كان تعبيره انحرافيا. وقال هذا هو أنا مثل القرد يؤدي حركات ليسعد بها أمه، فأنا أتصرف مثل المهرج قليل الحيلة. وفي شكل (٢) :



شكل ٢

رسم نفسه محاطا بإحدي ورقات اللعب وكانت أحاسيسه حول هذا الرسم تتباين ما بين الاكتئاب والشعور بالزهو. ويقول عن هذا الرسم أن الحياة لعبة حظ، ولعبيتي هي: ملك يجلس

علي كرسي العرش مرتدياً سترة البجارة. العرش يعطيني القوة والسلطة إلا أن سترة البجارة تعدني بإتجاه حر التجوال الذاتي في نوع من إطار " أذهب حظ سعيد" للعقل. وأرى ذلك هو الصراع بين الأب والطفل الذي هو أنا. فأنا أمتلك جناحي نحلة يسمحان لي بجمع عسل الحياة في طيران حر، إلا أنني أشعر أن يدي ثقيلة مثل الحجر تقف عائق أمامي. إنني دائماً ما أشعر أنني أنجذب للخلف بواسطة بركة مياه تمنعني من التحليق في الهواء".

في هذه اللحظة في حياته كان Ken في نفس الوقت يعيش خبرة تحقيق النجاح والخوف من الفشل، وفي ذلك الوقت دخلت أحدي السيدات إلي القسم الذي يدرس فيه في الكلية، سيدة حنونة ذات استجابة حسية دافئة. أشرت إحدى رسوماته بمبلغ كبير. وهذه الخبرات الجديدة للنجاح قادتته إلي الشعور بانتعاش النفس من ناحية، ومن ناحية أخرى إلي إيقاظ مخاوفه من الفشل وضعف المكانة. إن الصراع بين رغبته في الإنطلاق في العالم وتمتعه بالحياة. والرغبة في التمسك بنمطه الأسري لـ " اللاحركية" و"الإنسحاب" مع قلة الحيلة. والذي عبر عنه في هذا الرسم. لقد استطاع المعالج أن يساعد Ken في ربط هذا الصراع بماضيه الذي فيه كان اعتماداً المتزايد علي أمه، وساعده علي أن يبدأ في الخروج من إحساسه بالذنب نحو تحقيق فاعليته الذاتية.

لقد وضحت إعتمادية Ken هذه في سلسلة من رسوماته. (شكل ٣):



شكل ٣

رسمه قبل بدء علاجه بفترة قليلة. وهذا الرسم يجسد مشهد لحم والذي يصفه قائلاً: " أنا هذا الرجل الأسود في هذا الرسم يسير وسط زحام المدينة. وأنا الغوريلا التي ترتدي القميص

الأحمر اللون، فأنا الأبله الأخرس الذي يعتني بالملكة ويخدمها، فهي أمي وعلي رأسها التاج وعلي وجهها نظرة قلق، تقلق من أن يغتصبها شخص بهيم. وعلي رأسي شكل نصفه طائر والنصف الآخر لإمرأة، الطائر يمثل قرون لرأسي، إنه رمز لأمي التي لا تتركني أنطلق؟" هكذا كان تعليق Ken علي هذا الرسم والمعالج يري أن هذا الرسم يحتوي علي ثلاثة أمثلة نموذجية للأم – الأم الملكة والأم الساحرة والأم العاهرة. والأخيرة ترقد منبحة علي وجهها إلي يمين الغوريلا والتي إبتعدت عنها نحو الأم الملكة. إن Ken يري أيضاً هذه النساء علي أنهن مغريات جنسيا وساحرات عدائيات وملكات ملحات في طلباتهن. الوجه الأسود في شكله في الرسم وذراعيه البيضاوين اللون والقميص الاحمر، هي ألوان تعكس الصراع الداخلي بين " الطهارة" و " الخطيئة" و " الخير" و "الشر" " المتعة" و " الألم" و " العذرية" و " البغاء" " الإكتئاب" و " الإنشراح". وبعد عدة أشهر أحضر Ken رسم آخر يعبر فيه عن حلم آخر والذي منه تذكر الإستيقاظ في حالة إنفراجة نفسية فيها إنشراح وسرور (شكل ٤):



شكل ٤

ويتحدث عن ها الرسم قائلاً: "إن أمي ماتت في النهاية وتم دفنها في مقبرة صخرية. رأسها قطعت وفصلت عن جسمها وتنفست آخر شهقة لها. القروء سعيدة وترقص حول المقبرة . الرجل الأخضر يمثل ذاتي الأكثر جدية التي تعيش حالة حزن علي موتها وتتطلع إلي أن تكتسب حرية جديدة".

عضوين في المجموعة العلاجية أشارا إلي قضيبين ذكريين لونهما يميل إلي الاصفرار يخرجان من "الذات الجادة" هذه وفي حالة انتصاب قوي. ويعترف Ken بذلك وهو يقصدهما هكذا ومعبرا عنهما بقوله أنه يتخيل أن موت أمه أتاح له الإستمتاع بممارسته الجنسية وكفاءته فيها بدون أية أحاسيس أخري بالذنب.

إن الصراعات الرئيسية المزدوجة تمثل مصدراً ثرياً للإنتاجية في التعبير الإبتكاري لكثير من الفنانين. وذكر المعالج انه يؤمن أن مثل هذه الصراعات هي ليست صراعات عصبية مرضية، لكنها تمثل الجوهر البحت للوجود الإنساني. إن رسومات Ken ليست مجرد سلاح في معاناته في التعامل مع مشكلاته العصبية المرضية، بل هي أيضاً تشير إلي قدرة الفنان علي فحص واستقصاء أعماق العملية الأساسية والظهور في منظورات جديدة دوماً.

خاتمة

إن المعالج بالفن الذي يستخدم المنهج الإنساني يهتم بشكل أعمق بمستقبل العالم والتحديات التي سوف يواجهها الإنسان ونحن نتجه نحو الألفية الثالثة . إنني أري أننا ندخل "عصر الشخص" (Roszak; 1979) فلأول مرة في التاريخ الإنساني يكون الحق لكل شخص في النمو المكتمل لشخصيته وهويته المتفردة هو أمانة أو وديعة مقدسة وهدف مشترك للمجتمع الأكبر الذي يعيش ككل. للمرة الأولى يعتمد الناس علي تغيراتهم الداخلية في محاولاتهم تغيير المجتمع. ففي الماضي كنا نؤمن أن حدوث تغيرات أساسية في بناء أو نظام المجتمع محتمل أن ينتج عنها تغيرات في الشخصية وأساليب الحياة. فالمجتمع الإشتراكي من المفترض أن يعزز إنسان إشتراكي نموذجي، وأن المجتمع الديمقراطي من المفترض أن يعزز إنسان ديموقراطي نموذجي . يقول Ferguson عام ١٩٨٠ أن التحولات الداخلية الظاهرة في حياة كثير من الناس ممكن أن تؤدي إلي حدوث تحول في أساس المجتمع أو تحولات مجتمعية أساسية.

المبادئ الخمسة التالية يؤمن بها الكثيرون من علماء النفس الإنسانيون والمعالجون الإنسانيون (Hubbard, 1982, Houston, 1982) وهي مبادئ مشتركة وشائعة في كل المناهج الإنسانية، وهذه المبادئ تذكر أن:

(١) كل فرد له الحق في النمو المكتمل لهويته المتفردة وشخصيته وأسلوبه في الحياة الذي يتوافق معه.

(٢) كل فرد له الحق أن يتوقع احتراماً لشخصيته المتفردة وهويته وتكامله أو كليته. من كل من حوله.

(٣) يحق لكل فرد تشجيعه علي المشاركة مع غيره علي أساس الأهداف المشتركة والاهتمامات والأفكار والعوائق وأساليب الحياة، بما يتناسب مع حاجاته وإهتماماته.

(٤) كل فرد له الحق في تحدي أي سلطة أو مؤسسة في استجابتها لحاجته لتقدير شخصيته وهويته.

(٥) يحق لكل فرد تشجيعه علي البحث عن كليته الداخلية، بمعنى أن يصل إلي توازن متناغم بين الجسم والعقل والروح، وكذلك البحث عن كليته الخارجية بمعنى الارتباطية الكلية مع الآخرين في البيئة المحيطة التي يعيش فيها وبيئته الكبرى المتمثلة في المجتمع (Garal, 1989)

أن المنهج الإنساني الشمولي في العلاج بالفن Humanistic – holistic approach to art therapy في مبدئه الجوهرى يكون الهدف له هو عقل سليم صحيا في جسم سليم صحيا في روح سليمة صحيا، في عالم سليم صحيا، و"Josef E-Garai" يؤمن أن الشخص الذى يعيش خبرة كليته بأصالة هو أيضاً يحترم التكامل "Integrity"، والهوية "Identity" والفردية الذاتية individuation، والواقعية idealism (يطلق عليهم رباعي "I" لأن كل تعبير منهم يبدأ بحرف "I" في الانجليزية) لنفسه ولغيره، ومثل هذه الفلسفة الشمولية تؤدي إلي طريقة للحياة فيها: رعاية "care"، وتعاطف compassion، واهتمام Concern (يطلق عليهم ثلاثي "C") لأن كل تعبير منهم يبدأ بحرف "C" في الانجليزية، هذه الطريقة تتشابه عضويا من خلال تكامل الصحة العقلية "authenticity"، والذاتية "Autonomy"، والفاعلية الذاتية للذات "Authenticity" (يطلق عليهم ثلاثي "A" لأن كل تعبير منهم يبدأ بحرف "A" في الإنجليزية).

إن المعالج الشمولي الإنساني بالفن يؤمن بأن التمكن من هذه الطريقة للحياة والسير في إتجاهها يشكل هدف في داخله يصل إليه كل إنسان، ومن ذلك فإن هذا المعالج يسير في رحلة حياة مع مرضاه، إن العقيدة الأساسية سوف تعطيه الإلهام للإبتكار، إلهام تدفعه الشجاعة، كما تلهمه أيضاً الشجاعة علي الوصول إلي الاستشفاء لمرضاه لأن المعنى الأصلي لكلمة الاستشفاء يغطي الإحساس بصناعة الكل. لذلك يجب علي المعالج نفسه أن يكون شخص يعيش كلية صحية أو استشفاء صحي لكي يستطيع هو أن يقدم ذلك لمن يحتاج من خلال ممارسته العملية الصحيحة التطبيق، يقدم ذلك لمن يضعون فيه الثقة في القيام بذلك.

References

- Ahsen, A. (1973). *Basic concepts of eidetic psychotherapy*. New York: Brandon House.
- Biihler, C. (1971). Basic theoretical concepts of humanistic psychology. *American Psychologist*, 24, 378-386.
- Feldenkrais, M. (1973). *Body and mature behavior*. New York: International University Press.
- Ferguson, M. (1980). *The Aquarian conspiracy: Personal and social transformation in the 1980's*. Los Angeles: J. P. Tarcher.
- Frankl, V. E. (1963). *Man's search for meaning*. New York: Pocketbooks.
- Frankl, V. E. (1973). *The doctor and the soul*. New York: Random House.
- Freud, S. (1958). *On creativity and the unconscious*. New York: Harper & Row.
- Garai, J. E. (1973). Reflections on the struggle for identity in art therapy. *Art Psychotherapy*, 1, 261-275.
- Garai, J. E. (1975). The humanistic approach to art therapy and creativity development. *New-ways*, 1(2), 2, 8, 19.
- Garai, J. E. (1976). New vistas in the exploration of inner and outer space through art therapy. *Art Psychotherapy*, 3, 157-167.
- Garai, J. E. (1977/1978). The will and empathy in art therapy. *Journal of the Otto Rank Association*, 12(2), 32-53.
- Garai, J. E. (1979). New horizons of the humanistic approach to expressive therapies and creativity development. *Art Psychotherapy*, 6, 177-183.
- Garai, J. E. (1984). Holistic healing through creative expression: A training manual in holistic healing for creative-expressive arts therapists. *Art Therapy*, 1(2), 76-82.
- Houston, J. (1982). *The possible human: A course in enhancing your physical, mental, and creative abilities*. Los Angeles: J. P.
- Tarcher. [ubbard, B. M. (1982). *The evolutionary journey: A personal guide to a positive future*. San Francisco: Evolutionary,
- Jacobi, J. (1965). *The way of individuation*. London: Hodder & Stoughton.
- Jung, G. C. (1959). *Pour archetypes: Mother/rebirth/spirit /trickster*. Princeton, NJ: Princeton University. Press,
- King, G. (1981). *Imagineering for health: Self-healing through the use of your mind*. Wheaton, IL: Theo-sophical.
- Kris, E. (1952). *Psychoanalytic explorations in art*. New York: Schocken
- Langer, S. K. (1967). *Mind: An essay on human feeling*, Vol. I. Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press.